

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف اصول الدين

• تعريف الاصل

الاصل في اللغة : أصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه فالأب اصل الولد والنهر اصل للجدول (١) .

والأصل : أسفل كل شيء جمعه أصول (٢)

والأصول اصطلاحاً : القواعد والقوانين التي يبني عليها العلم : أصول الدين ، أصول العلوم (٣) .

والأصول جمع اصل : وهو عبارة عما يُفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره ، وفي الشرع هو ما يبني عليه غيره ، ولا يبني هو على غيره ، والأصل ما يثبت حكمه بنفسه (٤) .

• تعريف الدين

الدين في اللغة: مشتق من الفعل الثلاثي دان وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به.

فإذا تعدى بنفسه يكون "دانه" بمعنى ملكه، وسأسه، وقهره وحاسبه، وجازاه.

وإذا تعدى باللام يكون "دان له" بمعنى خضع له، وأطاعه.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ، صححه : مصطفى السقا ، ومصطفى الباب الحلبى ، نسخة مصححة على النسخة المطبوعة بالأمرية بمصر (٢٠/١٠) .

(٢) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، دار صادر، بيروت (١١/١٦-١٧) .

(٣) المنجد في اللغة والإعلام ، ألفه جماعة من العلماء ، دار المشرق ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٠م (١٢) .

(٤) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الحسيني الشهير بالسيد الجرجاني ، الحنفي المتوفى سنة ٨٢٦ هـ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى (٢٤) .

وإذا تعدى بالباء يكون "دان به" بمعنى اتخذه ديناً ومذهباً واعتاده، وتخلق به، واعتقده (١).

وهذه المعاني اللغوية للدين موجودة في "الدين" في المعنى الإصطلاحي كما سيتبين لأن الدين يقهر أتباعه ويسوسهم وفق تعاليمه وشرائعه، كما يتضمن خضوع العابد للمعبود وذلت له، والعابد يفعل ذلك بدوافع نفسية ويلتزم به بدون إكراه أو إجبار.

الدين في الإصطلاح: اختلف في تعريف الدين اصطلاحاً اختلافاً واسعاً حيث عرفه كل إنسان حسب مشربه، وما يرى أنه من أهم مميزات الدين. فمنهم من عرفه بأنه "الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي" وهذا تعريف أكثر المسلمين.

ويلاحظ على هذا التعريف قصره الدين على الدين السماوي فقط، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى ديناً، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، بدليل قوله عز وجل: (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢) ، وقوله ﷻ : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (٣) ، فسمى الله ما عليه مشركي العرب من الوثنية ديناً.

أما غير المسلمين فبعضهم يخصه بالناحية الأخلاقية كقول (كانت) (٤): أن الدين هو المشتمل على الإعراف بواجباتنا كأوامر إلهية . وبعضهم يخصه بناحية التفكير والتأمل فيقولون: الدين هو التجربة الصوفية التي يجاوز الإنسان فيها متناقضات الحياة (١) ، إلى غير ذلك من التعريفات التي نظرت إلى الدين من زاوية. وتركت أوجهاً وزوايا عدة.

(١) ينظر: لسان العرب ، ابن منظور (٤٦٧/٢) .

(٢) سورة آل عمران - الآية / ٨٥

(٣) سورة الكافرون - الآية / ٦

(٤) كانت : او عمانوئيل : فيلسوف ألماني.ذهب إلى أن الإنسان لا يدرك ماهية الأشياء، بل يدرك ظواهرها

الحسية في الزمان والمكان. توفي سنة ١٨٠٤م (ينظر: المنجد في الأعلام (٥١٣).

وأرجح التعريفات أن يقال:

الدين: هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلاً وحباً، رغبة ورهبة.

فهذا التعريف فيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقاً. وهو الله عز وجل، أو معبوداً باطلاً وهو ما سوى الله عز وجل.

كما يشمل أيضاً العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أولها أصل سماوي ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والنصرانية.

أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوكية، والبوذية، وعموم الوثنيات. كما يبرز التعريف حال العابد إذ لا بد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلاً وحباً للمعبود حال العبادة، إذ أن ذلك أهم معاني العبادة.

ويبين التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معاً، لأن ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة. والله أعلم.

تعريف علم العقائد

العقائد في اللغة: العقائد : جمع مفرده (عقيدة) وهي مشتقة من الفعل (عقد) سواء أكان المعنى حسياً كعقد الحبل ، أو معنوياً كعقد البيع والعهد ، وعقد الحبل والبيع والعهد ، والعقل والضمان والعهد ، والجمل (الحبل) الموثق الظهر (٢) .

و(اعتقدت كذا عقدت عليه القلب ، والضمير حتى قيل : العقيدة : ما يدين به ، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك) (٣).

(١) الإنسان والأديان، الدكتور محمد كمال جعفر ، دار الثقافة، قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، (١٦-١٨) .
(٢) ينظر : القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي مجد الدين (ت ٨١٧ هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ (٩٩) .
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي أبو العباس ، المكتبة العلمية ، بيروت (٢ / ٤٢١) .

من خلال التعريف اللغوي نجد أن كلمة (العقيدة) جاءت وهي تدل على معاني عديدة كالشد ، والربط ، والعهد شده ، وطلب المرء أن يحكم اعتقاده قلبه بها ، ومن هنا جاءت التسمية بـ (العقيدة الإسلامية) .

وأما العقائد اصطلاحاً : (عرفه القدماء بأنه علم باحث عن ذات الله تعالى من حيث صفاته وأفعاله المتعلقة بالمبدأ والمعاد على قانون الإسلام ، وعرفه المتأخرون بأنه علم باحث عن أحوال المعلوم وغايته الترتي من حضيض التقليد الى ذروة اليقين ، وإرشاد المسترشدين ، وإلزام المعاندين ، وحفظ عقائد المسلمين عن شبه المبطلين ، وبالنتيجة الفوز بسعادة الدارين فهو اشرف العلوم) (١) .

وقيل : (ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل) (٢) .

وقيل : لتعلقه بعقد القلب دون العمل بالجوارح ، فكان المقصود من نفس العلم بخلاف علم الفروع ، فالمقصود منه العمل بالجوارح كالصلاة ونحوها (٣) .

وتنقسم العقائد الإسلامية إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، تحت كل قسم منها فروع

عدة :-

١. الإلهيات :- وهو كل ما يتعلق بذات الله من أسمائه وصفاته وأفعاله ودلائل وجوده .

٢. النبوات :- وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) من حيث صفاتهم ، وعصمتهم ، ومهمتهم ، والحاجة إلى رسالتهم ، وموقف شعوبهم منهم ، والكتب المنزلة عليهم ، ودحض الشبهات المثارة حول الرسل (عليهم الصلاة والسلام) والمعجزات ، والإرهاصات .

(١) غاية المرام في عقائد أهل الإسلام ، حمدي الاعظمي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م (٥) .

(٢) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ (١٩٦) .

(٣) ينظر : شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ، أكمل الدين محمد بن محمد البابرّي (ت٧٨٦هـ) ، تحقيق الدكتور عارف آيتكن ، ومراجعة الدكتور عبد الستار أبو رغبة ، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ (٢٣) .

٣. السمعيات :- ويقصد بها ماذا يحدث للإنسان بعد الموت من سؤال منكر ونكير ، وعذاب القبر ونعيمه ، والبعث ، والحشر ، والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى ، والسؤال ، والصحف ، والميزان ، والشفاعة ، والعبور على الصراط ، ثم إما إلى النار ، وإما إلى الجنة ، قال تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) (١) .

أهم الأسماء التي اشتهر بها علم العقائد

١. علم التوحيد والصفات : وسمي به لأنه علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب ان يثبت له من صفات وما يجوز ان يوصف به وما يجب ان ينفي عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم ، وما يجب ان يكونوا عليه ، وما يجوز ان ينسب إليهم وما يمتنع ان يلحق بهم ، وسمي هذا العلم بالتوحيد لأنه اهم أجزائه وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان ، وانه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد ، وهذا المطلوب كان الغاية العظمى من بعثة النبي ﷺ كما تشهد به آيات الكتاب العزيز (٢) .

وقيل :- هو العلم المتعلق بالإحكام الفرعية (العملية) يسمى علم الشرائع والأحكام ، والذي يتعلق بالإحكام الأصلية (الاعتقادية) يسمى علم التوحيد والصفات (٣) .

٢. الفقه الأكبر : سماه بهذا الاسم الإمام أبو حنيفة^(٤) (رحمه الله تعالى) وله كتاب بهذا العنوان ذكر فيه بان (الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم ، لان الفقه في

(١) سورة مريم - الآية / ٧١-٧٢ .

(٢) ينظر : رسالة التوحيد ، محمد عبده ، مطبعة دار المنار ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٣٦١هـ (٥) .

(٣) ينظر : شرح العقائد النسفية ، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر (٧) .

(٤) النعمان بن ثابت بن زوطة بن مولى تيم الله بن ثعلبة ، اخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان ، قال الشافعي : من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ، ولد سنة (٨٠هـ) وتوفي سنة (١٥٠هـ) (طبقات = الفقهاء ، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروز آبادي أبو إسحاق ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الراءد العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م - ٨٦) .

الدين أصل ، والفقہ في العلم فرع ، وفضل الأصل على الفرع معلوم) ، ثم قال (أفضل الفقہ : أن يتعلم الرجل الإيمان بالله تعالى والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأمة واتفاقها) (١) .

وهذا يدل على أن الجيل الأول للإسلام كانوا يطلقون الفقہ ويعنون به ، مطلق الفهم ، وهذا المعنى هو الوارد في القرآن الكريم ، قال تعالى (... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ...) (٢) ، ومن هنا جاءت تسمية كتاب الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) في علم العقائد بـ (الفقہ الأكبر) .

٣. أصول الدين : لأنه يتعلق بالنظر في أصول العقيدة ، وقد ترك لنا الإمام عبد القاهر البغدادي (٣) (ت ٤٢٩ هـ) كتاباً سماه (أصول الدين) ، وكذلك الإمام أبو الحسن الأشعري (٤) (الإبانة عن أصول الديانة) وغيرهما من الكتب الأخرى في أصول الدين .

(١) ينظر : الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر ، النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة ، تحقيق : الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م (٨٢) .
(٢) سورة التوبة - الآية/١٢٢ .

(٣) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي ، البغدادي ، الشافعي (ت ٤٢٩ هـ - ١٠٣٨ م) فقيه ، أصولي ، ولد ببغداد ، ونشأ بها ، وسكن نيسابور وتوفي بأسفرايين ، من مؤلفاته الكثيرة : الكلام في الوعيد الفاجر في الأوائل والأواخر ، الملل والنحل ، كتاب التفسير (معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ن بيروت ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م - ٣٠٩/٥) .

(٤) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري ، المتكلم البصري ، صاحب المصنفات ، وله بضع وستون سنة ، أخذ الحديث عن زكريا الساجي ، وعلم الكلام الجدل والنظر ، عن أبي علي الجبائي ، ثم رد على المعتزلة ، وأنه توفي ببغداد في سنة (ت ٣٢٤ هـ) وقال غيره : توفي سنة ثلاثين ، وقيل بعد الثلاثين (ينظر : طبقات الشافعية ، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ، تحقيق : الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ٢٥٢/٤ ، والأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠م - ٢٦٣/٤) .

٤. علم العقائد : وسمي كذلك لتعلقه بعقد القلب دون العمل بالجوارح ، فكان المقصود منه ، نفس العلم. بخلاف علم الفروع ، فالمقصود منه العمل بالجوارح ، كالصلاة وغيرها (١) .

٥. النظر والاستدلال : سمي بذلك لأنه يعتمد في المنهج على النظر الفعلي في إثبات العقائد الدينية ، يقول العلامة التفتازاني (٢) بأنه : (علم يبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية) (٣) .

ويقول العلامة الإيجي (٤) بأنه : (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية التفصيلية) (٥) .

٦. علم الكلام : وهو من أشهرها وأكثرها شيوعاً ، ويقول الإمام الغزالي (٦) (رحمه الله) : (إنما المقصود منه هو حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل

(١) ينظر : شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ، البابرتي (٢٣) .

(٢) سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (٧١٢ - ٧٩٣ هـ) - (١٣١٢ - ١٣٩٠ م) : من أئمة العربية والبيان والمنطق ، ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس ، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند ، فتوفي فيها ، ودفن في سرخس ، كانت في لسانه لكنة ، من كتبه : تهذيب المنطق والمطول في البلاغة ، ومقاصد الطالبين في الكلام ، و شرح مقاصد الطالبين وشرح العقائد النسفية ، وغيرها من الكتب (ينظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي العكري ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرنؤوط ، دار بن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ٣١٨/٦ ، الأعلام - ٢١٩/٧) .

(٣) شرح المقاصد في علم الكلام ، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين (ت ٧٩٣ هـ) ، دار المعارف النعمانية ، باكستان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م (٥/١) .

(٤) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار أبو الفضل عضد الدين الإيجي عالم بالأصول والمعاني العربية ، من أهل أيج بفارس ، ولي القضاء ، من تصانيفه : المواقف في علم الكلام والعقائد العضدية والرسالة العضدية في علم الوضع وشرح مختصر ابن الحاجب في الأصول وغيرها ، مات مسجوناً (ينظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي أبو الفضل ، تحقيق ومراقبة : محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، الهند ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، ١١٠/٣ ، ومعجم المؤلفين - ١١٩/٥) .

(٥) المواقف ، عبد الرحمن بن احمد الإيجي عضد الدين ، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م (٣١/١) .

(٦) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ) ، حجة الإسلام ، فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتي مصنف ، مولده ووفاته في الطابران (قصبه طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى

البدع^(١) ، وسمي بعلم الكلام وذلك لعدة أسباب ذكرها التفازاني في شرح العقائد النسفية ، منها: ^(٢)

١. إن مباحثه كانت تعنون بالكلام في كذا وكذا .
 ٢. إن إثبات صفة الكلام لله تعالى هي أشهر ما وقع الاختلاف فيه بين المسلمين ، وأفضى الحال إلى ضرب بعض الأئمة وسجنه ، فطغى المصطلح على العلم كله.
 ٣. لأنه من الحجة والبرهان على العقيدة أشبه شيء بالمنطق في الاستدلال فسمي بالكلام تمييزاً له عن المنطق الذي هو بإزاء الفلسفة ويذكر لفظ (الكلام) كثيراً بمعنى جادل وناظر .
 ٤. لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم كما يقال للأقوى من الكلامين : هذا هو الكلام .
- ثم يذكر ابن خلدون^(٣) في تسميته بهذا الاسم ويقول : لان مبناه كلام صرف في المناظرات على العقائد ، وليس يرجع إلى عمل^(٤) .

بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلده ، نسبته إلى صناعة الغزل عند من يقوله بتشديد الزاي ، أو إلى غزاة ، من قرى طوس لمن قال بالتخفيف ، من كتبه ، إحياء علوم الدين ، والوافي بالوفيات (الأعلام ، الزركلي - ٢٢/٧) .

(١) ينظر : المنقذ من الظلال ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، تحقيق : الدكتور عبد الحليم محمود ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩م (٦٦) .

(٢) ينظر : شرح العقائد النسفية ، التفازاني (١٠) .

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي ، الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي البحاثة . أصله من إشبيلية ، ومولده ومنشأه بتونس . رحل إلى فاس وقرطبة وتلمسان والأندلس ، وتولى أعمالاً ، واعترضته دسائس ووشايات ، وعاد إلى تونس . ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق . وولي فيها قضاء المالكية ، ولم يتزى بزىّ القضاة محتفظاً بزىّ بلاده . وعزل ، وأعيد . وتوفي فجأة في القاهرة . (الأعلام ، الزركلي ، ٣/٣٣٠)

(٤) المقدمة ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤م (٤٢٩) .

إن الكلام ضد السكوت ، وإن المتكلمين قد تكلموا في المسائل الاعتقادية حيث كان ينبغي الصمت وعدم الخوض فيها ، اقتداءً بالصدر الأول للإسلام ، وإن الواجب عليهم كان ألامسك^(١) ، كما ذكر القرآن الكريم في قوله ﷺ : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾^(٢) وهذا مذهب السلف كما هو معروف .

يقول محمد عبده^(٣) : وقد يسمى بعلم الكلام ، لأن أشهر مسألة وقع فيها الخلاف بين علماء القرون الأولى هي أن كلام الله أملتو حادث أو قديم ، وأما لأن مبناه الدليل العقلي وأثره يظهر من كل متكلم من كلامه وقلما يرجع فيه إلى العقل^(٤) .

أهمية العقيدة الإسلامية

لقد نزل القرآن الكريم وفي العالم أفكار وعقائد اختلط فيها الحق بالباطل ، والصحيح بالزائف ، ومن يقف على تاريخ العقائد قبل نزول القرآن ، فإنه سيجد الصراع العقائدي بين الشرك وبين التوحيد الصحيح ، وقد عانت البشرية حينها في اضطراب فكري وتيه عقائدي ، ولم تكن لتتجوا منه لولا أن تدركها رحمة الباري ﷻ بإنزال القرآن العظيم ، وإنقاذ البشرية من هذا المصير^(٥) .

(١) ينظر : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي جلال الدين أبو الفضل ، تعليق : علي سامي النشار ، دار المروة ، مكة المكرمة (٣٣) .

(٢) سورة آل عمران - الآية ٧/ .

(٣) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، تعلم بالجامع الأحمدى. بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين، تولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية (سنة ١٣١٧ هـ) واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة (الاعلام ، الزركلي ، ٢٥٢/٦)

(٤) رسالة التوحيد ، محمد عبده (٦) .

(٥) ينظر : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥ م (٢١٢) .

وهذا المعنى هو الذي عبرت عنه سورة البينة ، قال ﷺ : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً) (١) .

إن القرآن الكريم قد وضع منظومة عقائدية واضحة متكاملة عرض فيها قضايا العقيدة عرضاً شاملاً ، تناول فيها المسائل العقائدية المهمة من الإلوهية والنبوة واليوم الآخر ، وما إلى ذلك من المسائل الأخرى.

فقد عرض القرآن الكريم مسألة الإلوهية ، وأشار إلى أن الأيمان بالله يتضمن : الأيمان بوجوده ووحدانيته ، والأيمان بأسمائه وصفاته وأنه الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء وأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٢) .

وان علمه يشرف على كل شيء ، إشرافاً تاماً ، فالمشهود والغيب لديه سواء ، يعلم عدد ما في صحاري الأرض من رمال وعدد ما في بحار الدنيا من قطرات ، وعدد ما في الأشجار من ورقات ، وعدد ما في أغصانها من ثمرات (٣) .

قال ﷺ : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (٤) .

وكذلك عرض القرآن مسألة النبوة والوحي ، وإنهما الطريقان الوحيدان إلى توجيه المعارف ، وتعريف الحقائق التي يريد الله ﷻ أن يلقيها إلى الإنسان ، سواء

(١) سورة البينة - الآية / ١-٢ .

(٢) سورة الشورى - الآية / ١١ .

(٣) ينظر : في علم الكلام ، أحمد محمد صبحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م (٨) ، وعقيدة المسلم ، محمد بن محمد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥١ م (٦٩) .

(٤) سورة الأنعام - الآية / ٥٩ .

كان موضوعها عالم الغيب وحقائق ما وراء المادة ، أم كان توجيه الإنسان وتنظيم شؤونه في عالم الشهادة. (١)

قال ﷺ : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (٢) .

وكذلك عرض القرآن الكريم مسألة الدار الآخرة ، ومصير الإنسان بعد الممات ، وان هذه الحياة ليست باقية ، بل هي مقدمة لحياة أكبر تعقبها يقيناً وهي الآخرة ، فمن كتب عليه الشقاء كان مصيره النار قال ﷺ : (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا) (٣) ، ومن كتب عليه السعادة كان مصيره الجنة ، قال ﷺ : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا) (٤) .

هذه جملة من الحقائق التي أشار ونبه إليها القرآن الكريم ، وهي بمجملها تؤلف منظومة عقائدية شاملة في الإسلام.

ومن خلال القرآن الكريم برزت للعقيدة الإسلامية أهمية كبيرة ، وذلك من

خلال الأمور الآتية :-

١. يشرف العلم بشرف موضوعه ، ولما كان هذا العلم يبحث عن توحيد الله الذي بعثت به الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ونزلت لأجله الكتب ، فهو لذلك اشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية ، ورئيس العلوم الدينية ، وكون معلوماته العقائدية الإسلامية وغايته الفوز بالسعادات الدينية والدنيوية (٥) .
٢. الاشتغال بأبحاثه والتعمق في أدلته والنظر في مسائله ، وينقل صاحبه من دائرة التقليد التي هي مظنة التشكيك إلى دائرة اليقين التي لا تقبل الحق من

(١) العقيدة في القرآن الكريم ، محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت (١٠) .

(٢) سورة الحديد - الآية / ٢٥ .

(٣) سورة الزمر - الآية / ٧١ .

(٤) سورة الزمر - الآية / ٧٣ .

(٥) ينظر : شرح العقائد النسفية ، التفتازاني (١٤) .

حيث هو ، وتجزم به بقطع النظر عن البيئة والأهواء والأشخاص ويكون سبباً في إرشاد الغير وإقناعه بإيضاح الدليل وإلزام المعاند ، وإفحام الخصم بإقامة الحجة عليه (١) .

٣. هو العلم بأصول الدين والذاب عن بيضة الدين بإبادة شبه المبطلين ، وأبطال كلام الملحدين ، كما انه العلم الذي يتوقف عليه أحكام الشرع وفروع الدين ، فانه مالم يثبت وجود صانع قادر مرسل منزل للكتب ، لم يثبت بداهة علم من علوم الإسلام فكلها متوقفة عليه وعائدة إليه (٢) .

٤. ولكونه اشرف العلوم ، فقد نزل معظم القران في تقرير مسائله وبيان أحكامه وتوضيح أوله ، إن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية اقل من ستمائة آية ، وأما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبادة الأوثان وأصناف المشركين ، وأنت لو فتشت علم الكلام لم تجد فيه إلا تقرير هذه الدلائل والذب عنها ورفع المطاعن والشبهات القادحة فيها ، وأما محمد ﷺ فاشتغاله بالدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد اظهر من أن يحتاج إلى التطوير (٣) .

لقد كان العرب قبل أن يسلموا ، ركماً غامضاً ، فلما دخلوا في دين الله ، تحول هذا الركام إلى كيان آخر فيه حياة وروح واخلاق ونظام ، فالعقيدة الإسلامية صاغت من ملكات العرب الإنسانية بعد أن كانت فوضى فرتبتها ، وكانت عقيمة فأثمرت ، ومتضاربة فتعاونت ، فأصبح العرب بفضل الإسلام كتاباً يقرأ ، ويفيد ويعجب الآخرين بالتأسي والإقتداء (٤) .

إن العقيدة الإسلامية كانت السر وراء مبعث الأمة العربية الإسلامية ، ولولاها لما كان للأمة شأن يذكر في التاريخ.

(١) ينظر : العقيدة والفكر الإسلامي ، محمد هشام سلطان ، دار الأفاق ، الرباط ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م (٢٠) .

(٢) الباقلاني وآراءه الكلامية ، محمد رمضان عبد الله ، مطبعة الأمة ، بغداد ، ١٩٨٦ م (٣٣) .

(٣) ينظر : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الشافعي الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (٨٠/٢ - ٨٢) .

(٤) ينظر : هموم داعية ، محمد بن محمد الغزالي ، دار البشير ، القاهرة (٦٧) .

تاريخ العقائد الإسلامية

كان الرسول محمد ﷺ مرجع المسلمين ، يعودون اليه مستفسرين عن امور دينهم ومستزيدين من علومه ، ويجدون عنده الجواب الكافي ، ويأتيه المشركون واهل الكتاب يسألونه مجادلين ومعارضين .

وكانت اجابته ﷺ اياهم باللفظ تارة ، وباسلوب لاذع تارة اخرى ، وذلك

حسب ما يقتضيه المقام، ولم يسلك سبيل العناد في جميع اجاباته لهم^(١) .

لَمَّا نَزَلَتْ (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)^(٢) فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: الْمَلَائِكَةُ وَعِيسَى وَعَزِيزٌ يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُعْبُدُونَ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: "كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يُعْبَدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرْتُهُمْ بِعِبَادَتِي ، قَالَ: فَنَزَلَتْ (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)^(٣) عِيسَى وَعَزِيزٌ وَالْمَلَائِكَةُ^(٤) .

(١) ينظر : العقيدة الإسلامية ومذاهبها ، د. قحطان الدوري ، دار الكتاب ناشرون ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٢م (٣٥) .

(٢) سورة الانبياء - الآية / ٩٨ .

(٣) سورة الانبياء - الآية / ١٠١ .

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م (٣٨٠/٥) ، والمستدرک علی الصحیحین ، الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م (٤١٦/٢ - رقم /٣٤٤٩ ، ثم قاله هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وتعليق الذهبي: صحيح) .

قَالَتْ فُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ فَقَالُوا سَلُّوهُ عَنِ الرُّوحِ
فَسَأَلُوهُ فَتَزَلَّتْ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا) (١) (٢) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَرْثٍ
بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى عَسِيبٍ قَالَ فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُّوهُ
عَنِ الرُّوحِ قَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَسْأَلُوهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ مَا الرُّوحُ فَقَامَ
فَتَوَكَّأَ عَلَى الْعَسِيبِ قَالَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (٣) قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُوهُ (٤) .

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يلجأ الى الحوار والجدال الا في مقام دعوة الخصوم
الى الدين الجديد ، وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم تلك المعاني ، فكانوا يكرهون البحث
والجدال في اصول العقيدة .

واما في عهد الخلافة الراشدة بقي حال العقائد على ما كان عليه في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقع اي خلاف يذكر في مسال العقيدة ، وانما وقع خلاف في جملة من
المسائل العملية منها (٥) :

١. خلافة سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه

٢. قتال مانعي الزكاة .

٣. وخلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(١) سورة الاسراء - الآية / ٨٥ .

(٢) المسند ، الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة
الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (٤ / ١٥٤ - رقم / ٢٣٠٩)

(٣) سورة الاسراء - الآية / ٨٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٦ / ٢١٥ - رقم / ٢٦٨٨) .

(٥) ومن اراد التزود مراجعة (الملل والنحل ، الامام الشهرستاني ، وتاريخ المذاهب الاسلامية ، ابو زهرة ،
والتبصير في الدين ، الامام الاسفراييني ، وتاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، والسيرة النبوية ، ابن هشام ،
وقالات الاسلاميين ، الامام ابو الحسن الاشعري ، وغيرهم...) .

٤. وفي ارض سواد العراق .
٥. وجعل الامر شورى بين المسلمين في الخلافة بعد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ستة من الصحابة رضي الله عنهم .
٦. وفي بعض اعمال الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه .
٧. وفي قضية التحكيم في عهد الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه .
- وجملة القول : ان المسلمين في هذا العهد لم يتركوا النظر في مسائل العقيدة في معرض الارشاد ، وانما تركوا التوغل والتكلف في النظر والحوار .
- ثم حدث تطور كبير في حال العقائد في عهد الخلافة الاموية فبرزت مشكلات كبيرة ادت الى اختلاف وتفرق المسلمين منها ^(١) :
١. مسألة القضاء والقدر : التي اثارها معبد الجهني ^(٢) ، ثم تولاهما من بعده غيلان الدمشقي ^(٣) .
٢. ومسألة خلق القرآن والصفات الالهية : التي اثارهما الجعد بن درهم ^(٤) ، وتولاهما من بعده الجهم بن صفوان ^(١) .

(١) ومن اراد التزود مراجعة (الملل والنحل ، الامام الشهرستاني ، وتاريخ المذاهب الاسلامية ، ابو زهرة ، والتبصير في الدين ، الامام الاسفراييني ، وتاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، والسيرة النبوية ، ابن هشام ، وقالات الاسلاميين ، الامام ابو الحسن الاشعري ، وغيرهم...) .

(٢) معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري (ت ٨٠ هـ) أول من قال بالقدر في البصرة. سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما رضي الله عنهم . وحضر يوم (التحكيم) وانتقل من البصرة إلى المدينة، فنشر فيها مذهبه. وعنه أخذ (غيلان). كان صدوقاً، ثقة في الحديث، من التابعين (الاعلام ، الزركلي، ٢٦٤/٧) .

(٣) غيلان الدمشقي :أبو مروان غيلان بن مسلم الدمشقي، (١٠٥ هـ - ٢٢٣ م) كاتب من البلغاء تنسب إليه فرقة " الغيلانية " من القدرية ، وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهني ، تاب عن القول بالقدر، على يد عمر ابن عبد العزيز، فلما مات عمر جاهر بمذهبه، فطلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الاوزاعي لمناظرته، فأفتى الاوزاعي بقتله، فصلب على باب كيسان بدمشق .ينظر : (الاعلام ، الزركلي، ١٣٤/٥) .

(٤) الجعد بن درهم، من الموالي: مبتدع، له أخبار في الزندقة. سكن الجزيرة الفراتية، قال الذهبي: (عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر) وقال ابن الأثير: (كان الجعد زنديقا شهد عليه ميمون بن مهران، فطلبه هشام، فظفر به، وسيره إلى خالد القسري - في العراق - فقتله) (ينظر: الاعلام ، الزركلي، ١٤١/٢) .

٣. ومسألة الكبائر وحكم مرتكبها : التي اثارها الخوارج

وفي هذا العهد ظهرت مجموعة من النتائج وهي على النحو الاتي :

١. ان النظر العقلي في العقائد بدأ في هذا العهد على يد الفرق الجديدة التي اثارت مجموعة من المسائل الخلافية ، وكانوا هؤلاء من الموالي الذين دخلوا في الاسلام حديثا .

٢. نمت وتميزت بعض الفرق والمذاهب السياسية في هذا العهد بسبب تلكم الخلافات (كالمعتزلة، والشيعية، والمرجئة، والخوارج، وغيرهم).

٣. ان التدوين والتأليف في مسائل الكلام بدأ في هذا العهد .

واما حال العقائد في العهد العباسي : يعتبر العهد العباسي العهد الذهبي بالنسبة لتدوين العلوم والمعاف الاسلامية .

وقد راج وانتشر في هذا العهد منهج النظر العقلي في تقرير العقائد الدينية والتي حمل لوائها المعتزلة ، فكانوا اكثر تجردا واكثر اعتزازا بإحكام العقل ، فلم يحاولوا التوفيق بين العقل والنقل في حال التعارض ، وانما قرروا تأويل النقل والاختصاص بحكم العقل ، وكانوا اهل جدال ومناظرة بعكس خصومهم ، ودامت لهم السيادة اكثر من قرن من الزمان ، وذلك بسبب تأييد السلطة الحاكمة لهم^(٢) .

(١) جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب رأس (الجهمية) قال الذهبي: الضالّ المبدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما. كان يقضي في عسكر الحارث بن سريح، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: (لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت) وأمر بقتله، فقتل (الاعلام، الزركلي، ١٢٠/٢)

(٢) ينظر : اصول الدين الاسلامي ، د. رشدي عليان ، دار الامام الاعظم ، بغداد ، الطبعة الثانية ،

١٤٣٢هـ-٢٠١١م (٣٦-٣٧)